

لم تأتِ بعد

info@darak-egy.com ✉
02 24832669-010 27251915 📞
51 ب شارع النهضة – من امتداد رمسيس – القاهرة. 📍
جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر. **دارك** للنشر والتوزيع

لم تأتِ بعد
تسليم التلاوي
تصميم الغلاف: أسامة علام
تدقيق لغوي: سارة صلاح
رقم الإيداع: 2019/25622
الترقيم الدولي: 3-35-6634-977-978
الطبعة الأولى: 2020

تسنيم التلاوي

لم تأتِ بعد

رواية



إهداء إلى

هذه الطفلة التي تُركت في منتصف عامها الأول دون إثم لها سوى أنها طفلة لم تمتلك من الخيارات إلا الرضوخ.. كنتِ أصغر من أن يُفهم من بكائك أنه توَسَّل بالبقاء، كانوا أقسى من أن يعوا أن نواحكِ على رحيلهم أفقدكِ صوتكِ من يومها وإلى الأبد، أعلم أنها نهاية مبكرة للأمان في قلبك فقد كنتِ جواركِ أرتجف وحدي خشية الموت دونهم..

ها قد مرَّ عشرون عامًا وما زلتِ عالقة في ذلك المنتصف على قيد الحياة بمفردك، هائمة في صمتكِ الذي هو أكثر ما يعبر عنكِ؛ مبهم، هادئ وبعيد، به شيء مفقود لا يستطيع أحد الوصول إليه أو التكهن به تمامًا مثلكِ..

مرَّ عشرون عامًا وما زلتُ أتطلع للحياة بنفس الخوف الذي رأيته في عينيك حينها، ما زلت أخشى لحظات الرحيل، أعاني من هوس المنتصفات فعندها تموت أشياء لا ميلاد جديد لها وتولد أشياء أخرى لا شيء يُديبها، أُهديها إليك فلولاكِ ما آمنتُ بأنها موتة واحدة فقط يموتها الإنسان مهما بقيَ له من بقيّ، ورحل عنه من رحل!

مقدمة

في عالمٍ موازٍ حيث يهيمنون بالنهايات الحزينة والنكبات المفزعة، اخترتُ
لنفسي طريقًا غير ذي عوجٍ لأهيم دونهم به.. وليس كل طريق مستقيم في
السير مثله في الشعور، فقد حلق بي الفرح في مراتٍ كثيرةٍ إلى سابعِ سماءٍ، ومراتٍ
أخرى سحبنى الحزن إلى القاع بشكلٍ يستحيل معه أي مواجهةٍ جديدةٍ للحياة،
مراتٍ مددت يد الحبِّ للجميع، ومراتٍ أخرى انسحبت متكورة كالجنين حول
نفسي في عزلةٍ عن الكلِّ ممن فيهم طريقي، كان رهائي الوحيد على الحبِّ الذي
يحملة قلبي له، فَبِه سَأتمكُنُ من العثور عليه..

”كالرماد لا يُنبئُ أبدًا عن حجم النار التي خلَّفته، فقط تعرفُ
منه أنَّه وفي هذا الموضعِ بالذات نشب حريقٌ أتلف كل شيء.“

+ ظ، غائل ٣ بن ت ٨ ف ح ح م + ظ ع ك م

في فصل الشتاء بأحد مقاهي مدينة الإسكندرية كان (فاروق) جالسًا إلى طاولة نائية بعيدة، يحتسي قهوته على مهلٍ متابعًا بنظراته زخات المطر بالخارج، مرّت عليه بضع ساعات في هذا المكان إلى أن غادره الجميع ولم يبقَ به أحدٌ سواه، شعر بالراحة إزاء خلوه فهو لا يجذب الأجواء المزدهمة الصاخبة، ثم أخرج جهاز التسجيل الرقمي وبدأ يحيكي:

- أذكر أن لها عينين واسعتين، بندقيتي اللون، ونظراتٍ خاطفة سريعة كأنها تريد أن تستحوذ بعينيها على كل شيء، كما فعلت بقلبي! كانت تتأمل طفلًا صغيرًا يتحدث إلى والده تتابعه بعينيها تبتسم من ردود أفعاله وطريقته المضحكة في الحديث، لم أستطع حينها أن أمنع عيني عن تأمل ذلك الجمال الساكن بعينيها، ولم أعمد إلى لفت انتباهها بطول تحديقي إليها، أو بمعنى أدق لم أتعمد إرباكها.. فقد اضطرت نظراتها على عكس ما بدت عليه قبل شعورها بتحديقي إليها.

أوقف المسجل متنهّدًا وعلى شفثيه ابتسامة شبه يائسة، فعلى كل حال سيغادر هذه المدينة خلال ساعات ولا يعلم متى قد يعود إليها، سيفارقُ المدينة وعينيها إلى أجلٍ غير معلوم!

+ظا“، ظال يمش+بر]، شين يمن+تبر+يج ظفتتكل

وقفت (رؤى) إلى جوار النافذة تضم بين ذراعيها صغيرها (أسر) الذي يغط في نوم عميق، كانت تتطلع لرذاذ المطر المتراكم على الزجاج، ثم أغمضت عينيها منصتة إلى صوت زخاته وقد اعتلت شفتيها ابتسامة هادئة؛ هذا الطقس يذكرها به، الشتاء، الأمطار، هدوء الليل والسكون، كأن كل شيء اجتمع ليسرق قلبها إليه...

م:غ، غائل - يخك+غيرير

أخذ (مروان) درجات السلم جاريًا صعودًا للأعلى.. وما إن وصل الطابق الثاني حتى توقف مُلتقِّفًا أنفاسه سريعًا، بدأ يطرق الباب طرقتة المعتادة وما إن فتحت (رؤى) حتى أخذ يتفحص ملامحها مبتسمًا قابضًا على معصمها برفق وهو يقول:

- تعالي معي.

لم يعطِ لها فرصة لتفكر إلى أين؟! وسحبها من يدها جاريًا وهي متشبثة به حتى وصلا إلى السطح، كانت الأمطار حينها تنهمر بغزارة، أمسك يدها طابعًا عليها قُبلة رقيقة وقال وهو يطالع عينها:

- أحبك يا طفلي الجميلة.

ردَّت عليه بخجلٍ:

- وأنا أيضًا أحبك كثيرًا.

أقترب منها مطوقًا خصرها بذراعيه ثم حملها وأخذ يدور بها تحت المطر بينما ضحكت هي بعذوبة كما الأطفال، سعادتهما صادقة، كأنهما ما إن يلتحما حتى يتلاشى كُل ما دونهما...

يقولون ”جمعينا نصبح أطفالًا ما إن يطرق العشق قلوبنا“ والحق أن (رؤى)

تشعر معه أنها طفلته المدللة، ابنته البكر، وقطعة من روحه، تراه على الدوام بطلها وحاميتها، ملاذها الآمن، وربما هو سبب وجودها ولم تكن لتوجد يوماً إلا به!
أخرجها من شرودها صوت المفاتيح فالتفتت لتراه أمامها، ابتسمت وهي تتطلع إليه ليبادلها الابتسامة ولكن على ما يبدو كان هناك ما يشغله فقد بدا القلق جلياً على ملامحه، أخذ الصغير منها وحمله إلى غرفته ثم عاد إليها وضمها دافئاً رأسه في كتفها دون أن ينبس بشيء، ظل هكذا لدقائق ساكناً بين أحضانها مما أشعرها بالقلق عليه، فسألته:

- هل أنت بخير؟!

يعيش (مروان) مع زوجته (رؤى) وابنه (أسر) في أحد البيوت القديمة بالإسكندرية، البيت مكوّن من ثلاثة طوابق جعلوا الطابق الثالث منها يُشبه الحديقة الصغيرة، يحملُ بيتهم تصميمًا غريبًا كلاسيكيًا يجعله لافتًا جذابًا لكل من يمرُّ عليه، ربما أصابته عدوى الجمال من سكانه الذين يملأونه بالحياة...

في غرفة مُعتمة صغيرة فوق إحدى البنايات الشاهقة كانت (دعاء) ملقاة على الأرض تن من أثر الكدمات التي احتلت كل شبر بجسدها، تشعر بالدينا تدور من حولها، وقد خارت قواها من شدة ما تلقته من الضرب والتعذيب حتى أصبحت لا تقوى على الوقوف، لا تعرف أي شيء سوى أنها ستموت في هذا المكان اللعين ولن يتمكن أحدٌ من العثور عليها، كانت تتنفس بصعوبة بالغة كمن يلفظ آخر أنفاسه، لا تفكر الآن إلا به، لو ستنتهي حياتها حقاً في هذا المكان لتنتهي وهو حاضرٌ بقلبها، ليبقى هو آخر عهدٍها بالحياة، ظلَّت تردّد اسمه بصوت متهدج مرتعش حتى أُغشي عليها من التعب..

+ ظجع، ظظبر + ظامه، فاشا

جلست (نرجس) إلى مائدة الإفطار بمفردها، تشعر بوحدة شديدة بعد طلاقها من (عصام) فرغم سوء معاملته لها أحبته وربما لم تحب أحدًا مثله؛ حتى إنها فضّلته على أولادها من زوجها الأول وتركتهم واختارته للتزوج به وتكمل هي ما تبقى من حياتها معه، ولكن ماذا حدث؟! طلقها بالأخير وفضل عليها غيرها، تركها وحدها لا أولاد يؤنسونها ولا أحد يسأل عنها..

لا يسامحها أبناؤها أبدًا على ما فعلته، ولهم الحق في ذلك فقد وعدتهم وعودًا لا حصر لها أنها لن تتركهم، لن تتخلى عنهم، أنها ولو انفصلت عن والدهم لاستحالة استمرار المعيشة بينهما فلن تبحث مرة أخرى عن رجل ترمي في أحضانه، وستتضي ما تبقى من عمرها على تربيتهم ولأجلهم..

لظالما سألت نفسي ما الحكمة من الوعود الكاذبة؟! الأمر شبيه بقضاء عمرك كله في بناء حصن منيع للاحتماء به، وما إن تفرغ منه حتى تجد نفسك قتيلاً تحت الأنقاض!

نبحثكفي + ظامه، فاشا + ظحاث + ق!

كان (فاروق) يقود دراجته النارية متجاوزًا حد السرعة المسموح بها، يمر الطريق أمام عينيه كشريط الذكريات السريع لا يمكنه رؤية ملامحه كاملة بوضوح ولكن بإمكانه أن يشعر بأثرها فيه، أخذ الهواء يطيح بمعطفه الجلدي الذي يرتديه، ثم بدأ يشعر مرة أخرى أنها في مكان ما هنا وتحديدًا في قلبه، إنها تملأ بحضورها الزمان والمكان حتى تأخذه من كل شيء دونها..

نظر إلى معطفه الذي يجتذبه الهواء يميناً ويساراً، لأعلى ولأسفل.. ثم هدأ من سرعة دراجته بشكل تدريجي حتى توقّف في جانب الطريق مُخرِجاً المسجل من جيبه وبدأ يحيكي من جديد:

- لم يكن وقتاً طويلاً ذلك الذي قضيتُه معها ربما هم بضعة أشهر ولكنهم بمثابة حياة كاملة لي، إنها تداوي بلا ألم، تشفي بلا مرارة، تقرأ صمتي، خوفي، وغضبي، كأنها الوحيدة القادرة على رؤية داخلي، الوحيدة التي تعرفني..
أغمض عينيه قبل أن يكمل:

في مثل هذا الوقت تحديداً كانت معي تغلق بأناملها الرقيقة جرار معطفي، وبدلاً من ذاك الهواء الذي ألتقاه في صدري ضمتني هي بذراعيها محتضنة ظهري وحاوطتني كي لا يصيبني من البرد شيء..

حاول (مروان) استجماع نفسه وهدأ قليلاً حتى شعر بقدرته على الحديث، ثم أمسك بيد (رؤى) مطمئناً لها وبدأ يخبرها عما حدث معه:

- قبل خروجي من المكتب تفقدت الرسوم الخاصة بآلات المصنع الذي حدثتُك عنه لكنني لم أعر عليها، هذه التصميمات استغرقتُ مني وقتاً طويلاً حتى أنهيتها كما أنها مهمة للغاية لاسمي في المجال، أتعلمين؟ تمكنت هذه المرة من ابتكار تقنيات جديدة سترفع من إنتاجية الآلات وتنفيذها لن يحتاج إلى ميزانية مرتفعة كغيرها، حينما تحدثت مع السيد (تميم البدرابي) مدير المصنع حول فكرتها أعجب بها على الفور حتى إنه منحني دفعة مقدمة من المبلغ إلى أن أنهي التصميم، بقي ثلاثة أيام على موعد التسليم إما أن أقدم التصميمات أو أعيد المال وفوقه الشرط الجزائي..

سكت قليلاً متنهداً بثقل قبل أن يتابع كلامه معها مضيقاً:

ما يشغلني أكثر أن (رأفت) خرج اليوم مبكراً من المكتب، واتصلت به عدة مرات بعد ذهابه لكن هاتفه بقي مُغلَقاً، لذا ينتابني شعور بعدم الراحة، هناك شيء ما يحدث لم أعرفه بعد!

يعدُّ (مروان) مهندساً بارزاً في مجاله، لديه شهرة واسعة بين زملائه، جني خلال سنوات عمله عددًا لا بأس به من المعارف والأصدقاء أقربهم إليه صديقه (رأفت) الذي يعمل معه في هذا المكتب كمساعد شخصي له..

+ فَا — غَتْن + ش، ع ح ب ر + ظ م ه، فَا شَا

فتح (عصام) عينيه ليجد (هنا) إلى جواره تغطُّ في نوم عميق ظل يتأملها وهي نائمة ثم مدَّ أنامله إلى شعرها وبدأ يداعب خصلاته برفق لتستيقظ بفرع دافعة يده بعيداً عنها، ثم تنهض سريعاً تاركة الغرفة له..

خرجت وهي تقول بنبرة يملأها الغضب:

- سأحضّر لك الطعام لتتناوله وتذهب إلى عملك.

ذهب خلفها وكأنه لم يحدث شيء ثم سحبها من ذراعها بقوة وجذبها إليه ناظرًا لها بعينين متأججتين غضبًا، وردّ:

- وماذا إن كنت أريد قضاء اليوم مع زوجتي؟! اسمعي لقد تحملتُكِ كثيرًا،

بقيتُ أخلق لكِ أعداءًا في كل مرة ترفضيني لكني سئمت؛ أنا زوجك...

قاطعت حديثه صارخة فيه:

- لن أصبح زوجتك أتفهم؟! أنا أكرهك، أتعلم لا أتحمّل أن تلمسني؛ في